

# أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَمْلِكُ الصَّرْفَ وَلَا النَّفْعَ لِنَفْسِهِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ

ثالثاً: أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَمْلِكُ الصَّرْفَ وَلَا النَّفْعَ لِنَفْسِهِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ قَالَ تَعَالَى : { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا  
صَرْفًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } . وَقَالَ تَعَالَى : { قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرْفًا وَلَا رَسْدًا } . وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ الْمَلْكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الَّذِي  
بِيدهِ النَّفْعُ وَالصَّرْفُ الْعَطَاءُ وَالْمَنْعُ، وَهُوَ مَالِكُ الْمُلْكِ، لَا رَادُ لِقَضَائِهِ وَلَا مَعْقُبٌ لِحُكْمِهِ، أَمَا الْخَلْقُ كُلُّهُمْ بِمَا فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ فَإِنَّهُمْ  
مَمْلُوكُونَ، يَعْمَلُونَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : { لَا يَمْلِكُونَ مِنْ قَوْلِ دَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُمْ  
مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } . يَقُولُ شِيخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تِيمِيَّةَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ: نَفِيَ اللَّهُ عَمَّا سَوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنَّ  
يَكُونُ لِغَيْرِهِ مَلِكًا، أَوْ قَسْطًا مِنْهُ، أَوْ يَكُونُ عَوْنَاهُ .. إِلَخُ . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ  
شَيْءٌ } وَذَلِكَ حِينَ شَجَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي وَقْعَةِ أَحَدٍ وَكَسْرَتِ رَبَاعِيَّتِهِ، فَقَالَ: { كَيْفَ يَفْلُحُ قَوْمٌ شَجَوَ  
نَبِيِّهِمْ؟ } رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمِ (1791)، فِي الْجَهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ "غَزْوَةِ أَحَدٍ". عَنْ أَنَّسٍ. أَوْ كَانَ ذَلِكَ لِمَا قَنَتْ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ - يَدْعُ عَلَى بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ، فَأَنْكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَيْسَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ رَوَاهُ  
الْبَخَارِيُّ كَمَا فِي الْفَتْحِ: 7/422 بِرَقْمِ (4069) فِي الْإِيمَانِ، بَابُ (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغُمَّ أَمْنَةً نَعَاسًا... ) الْآيَةِ". عَنْ ابْنِ  
عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَثَبَتَ فِي الصَّحِيفَةِ أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْذَرَ عَشِيرَتَهُ وَأَقْارِبَهُ وَقَالَ لَهُمْ: { أَنْقَذُوكُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنَ  
النَّارِ، لَا أَغْنِيَ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ كَمَا فِي الْفَتْحِ: 8/360 بِرَقْمِ (4771) فِي التَّفْسِيرِ، بَابُ "(أَنْذَرَ عَشِيرَتَكَ  
الْأَقْرَبِينَ)" .. وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ (204)، فِي الْإِيمَانِ، بَابُ "فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَنْذَرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)". حَتَّى قَالَ ذَلِكَ لِعَمِّهِ  
وَعُمَّتْهُ وَابْنَتِهِ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ كَمَا فِي الْفَتْحِ: 8/360 بِرَقْمِ (4771) فِي التَّفْسِيرِ، بَابُ "(أَنْذَرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)" .. وَمُسْلِمٌ  
بِرَقْمِ (204)، فِي الْإِيمَانِ، بَابُ "فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَنْذَرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)". وَفِي رَوْاْيَةِ { اشْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ } رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ  
كَمَا فِي الْفَتْحِ: 8/360 بِرَقْمِ (4771) فِي التَّفْسِيرِ، بَابُ "(أَنْذَرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)" .. وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ (204)، فِي الْإِيمَانِ،  
بَابُ "فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَنْذَرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)". أَيْ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَطَاعَتْهُ فِيمَا أَمْرَ وَالْأَنْتَهَاءُ عَمَّا عَنْهُ  
زَرْجُورٌ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ اقْنَادًا مِنَ النَّارِ، دُونَ الاعْتِمَادِ عَلَى النَّسَبِ وَالْقَرَابَةِ، فَدُفِعَ بِذَلِكَ مَا يَتَوَهَّمُهُمْ مِنْ أَنَّهُ يَغْنِي عَنْ  
أَقْارِبِهِ وَيَشْفَعُ لَهُمْ، وَهَذَا الْوَهْمُ قَدْ سَرَى وَنَمَّ كَمِنْ فِي نُفُوسِ الْجَمِيعِ الْغَافِرِ، فَتَرَاهُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَى مَجْرِ الْإِنْتِسَابِ إِلَى قَرَابَةِ  
النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَعْدُونَهُ شَرْفًا، طَائِنِينَ أَنَّ النَّجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ تَحْصُلُ لَهُمْ بِدُونِ عَمَلٍ، بَلْ إِنَّهُمْ يَخَالِفُونَ سَنَتَهُ،  
وَيَعْصُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ عَلَيْنَا، كَمَا أَنَّ هُنَّاكَ آخَرُونَ يَتَعَلَّقُونَ بِحَبْهِ الْمَزْعُومِ دُونَ اتِّبَاعِهِ وَطَاعَتْهُ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَشْفَعُ لَهُمْ بِمَجْرِ  
تَلْكَ الْمَحْبَةِ الْوَهْمِيَّةِ، رَغْمَ مُخَالَفَةِ مُدَلُّ الْمَحْبَةِ مِنْ تَقْليِدِهِ وَالسَّيْرِ عَلَى نَهْجِهِ، إِنَّا كَانَ هُوَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا  
يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًا وَلَا يَدْعُ الصَّرْفَ وَالْعَذَابَ عَنْ نَفْسِهِ لَوْ عَصَاهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ  
وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا } . فَكَيْفَ بِغَيْرِهِ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ؟! وَقَدْ بَيَّنَ - لِأَقْارِبِهِ أَنَّهُ لَا يَنْحِيَهُمْ مِنْ  
عَذَابِ اللَّهِ وَلَا يَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ، وَلَا يَقْرِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَإِنَّمَا أَعْمَالَهُمْ هِيَ الَّتِي تَنْقِذُهُمْ مِنَ النَّارِ . وَثَبَّتَ فِي الصَّحِيفَةِ أَنَّهُ - صَلَّى  
اللَّهَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَاوَلَ هَدَايَةَ عَمِّهِ أَبِيهِ طَالِبَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْوَفَاءُ جَاءَهُ فَقَالَ لَهُ: { يَا عُمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ، كَلْمَةُ أَحَاجِ لَكَ بِهَا عَنْدَ اللَّهِ } رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ كَمَا فِي الْفَتْحِ: 3/263 بِرَقْمِ (1360) فِي الْجَنَائزِ، بَابُ "إِذَا قَالَ  
الْمُشْرِكُ عَنِ الْمَوْتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ". وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ (24) فِي الْإِيمَانِ، بَابُ "الدَّلِيلُ عَلَى صَحَّةِ إِسْلَامِ مَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ..." ..  
عَنِ الْمَسِيبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَلَقَنَهُ جَلْسَيَ السَّوْءَ الْحَجَّةَ الشَّيْطَانِيَّةَ، فَكَانَ أَخْرَى كَلَامَهُ هُوَ: عَلَى مَلَةِ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ.  
وَنَزَّلَ فِي ذَلِكَ قَوْلِهِ تَعَالَى: { إِنَّكَ لَا تَهُدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهُدِي مَنْ يَشَاءُ } . فِي هَذِهِ الْقَصَّةِ أَعْظَمُ مَا يَبْطِلُ شَبَهَهُ  
الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَغْلُونَ فِي حَقِّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَسَّالُونَهُ تَفْرِيجَ الْكَرْبَوَةِ، وَغَفَرَانَ الذُّنُوبِ، وَيَهْتَفُونَ بِاسْمِهِ  
عَنْ الشَّدَائِدِ بِقَوْلِهِمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ . إِنَّا كَانَ هُوَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ اللَّهِ،  
وَأَعْظَمُهُمْ عَنْهُ جَاهًا، وَمَعَ ذَلِكَ حَرَصَ عَلَى هَدَايَةِ عَمِّهِ أَبِيهِ طَالِبٍ فِي حَيَاتِهِ وَعَنْدَ وَفَاتِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
كَيْبَرَ عَلَيْهِ الشَّقَاءِ، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى الْإِسْتَغْفَارِ لَهُ، فَنَهَاهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: { مَا كَانَ لِلَّهِيْ وَالَّذِينَ أَمْنُوا أَنْ يَسْتَعْفِرُوا  
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحَّمِ } . فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ - لَا يَمْلِكُ لِغَيْرِهِ نَفْعًا وَلَا يَدْعُ عنْهُ ضَرًا، وَلَوْ دَعَاهُ وَرَجَاهُ وَهَتَّفَ بِاسْمِهِ، وَلَوْ زَعَمَ أَنَّ يَحْبِهِ حَبًّا شَدِيدًا، فَلَوْ كَانَ عَنْ  
النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْءٌ مِنْ هَدَايَةِ الْقُلُوبِ أَوْ تَفْرِيجِ الْكَرْبَلَةِ، لَكَانَ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ عَمِّهِ الْكَبِيرِ الَّذِي كَفَلَهُ  
وَحْمَاهُ، وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْلَى الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى هَدَايَتِهِ وَنَجَاتِهِ، فَغَيْرُهُ بِطَرِيقِ الْأُولَى.